الشيخ أبوبكر محمود جومي: مجدد المائة الرابعة عشرة في نيجيريا

أ.د. عمر محمد لبطو
محاضريقسم الدراسات الاسلامية
جامعة نورث ويست، كنو

مقدمة

التجديد جعل الشيء القديم جديدا وهو مفهوم واسع يشمل احياء الدين وتطهيره من الشوائب وتطوير الأفكار للخروج من الجمود، واعادة رونق الدين باحياء ما اندرس من السنن ونشرها، ونشر محاسن الاسلام، وازالة البدع، واعادة الدين الي صفائه الأصلي والي ينابيعه الصافية من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة. وبدأ اهتمام العلماء المسلمين بمسألة التجديد منذ زمن التابعين وأتباعهم، وقيل ان محمد ابن شهاب الزهري هو أول من تكلم في هذا الموضوع و تبعه العلماء في ذلك. وجاء بعده الامام أحمد بن حنبل الذي حدّد مجددي القرن الأول والثاني. ثم أفاض العلماء في ذكر التجديد والمجددين في كتبهم، وبعضهم خصص هذا الموضوع بمؤلفات.

وعرف التاريخ حركات الاصلاح والتجديد في نواح مختلة من العالم الاسلامي ومنها اقليم غرب افريقيا، فقد قامت فيها حركات للاصلاح وظهر فيها رجال مصلحون بذلوا الجهود لتجديد الدين واصلاح المجتمع. وأهم حركة تجديدية عرفتها المنطقة هي حركة الشيخ عثمان بن فودي الذي يعد من أنجح المجددين والمصلحين في التاريخ الاسلامي كله. ومن أكبر منجزات هذه الحركة العظيمة نجاحها في استنساخ نفسها وامتدادها في الزمان والمكان. وتعد أعمال التجديد التي قام بها الشيخ أبوبكر محمود جومي نسخة جديدة لهذه الحركة واستمرار وامتداد لأعمالها وانجازاتها.

التجديد في الثقافة الاسلامية

التجديد هو احياء مباديء الدين واصلاح ما اندرس منه واحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان السنة من البدعة، وذلك كله بهدف تحقيق مقاصد الشريعة وجعلها صالحة لكل زمان ومكان، مع الحفاظ على ثوابتها.

والتجديد له أصل أصيل في الاسلام، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "ان الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها."1 وبدأ اهتمام العلماء المسلمين بمسألة التجديد منذ زمن مبكر جدا، فقد ذكرت المصادر أن محمد ابن شهاب الزهري، وهو من التابعين، قد تكلم في هذا الموضوع وأبدى رأيه فيمن هو مجدد القرن الأول ، ويعد من أوائل الذين أثاروا الاهتمام بها الأمر. وجاء بعده الامام أحمد بن حنبل الذي ذكر مجددي القرن الأول والثاني. وجاء في مصادر مختلفة ان حديث التجديد هذا قد ذكر في مجلس الفقيه ابي العباس بن سريج في القرن الثالث الهجري ومجلس الحاكم النيسابوري في القرن الرابع. ونظم السبكي في كتابه طبقات الشافعية قصيدة من عشرين بيتا فيها ذكر أسماء المجددين، وألف السيوطي أرجوزة من ثمانية وعشرين بيتا أسماها تهفة المهتدين بأخبار المجددين.

ولأن مصطلح التجديد نشأ عن الحديث النبوي المروي في ذلك فان كتب الحديث التي خرّجت هذا الحديث تضمنت طائفة من آراء العلماء حول التجديد، ومن هذه الكتب سنن أبي داود وشروحه، وكتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، وكتاب الجامع الصغير للامام السيوطي. وكذلك كتب التراجم والطبقات مثل كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب الي الامام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر وكتاب طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، وغيرها.

وقد اختلف العلماء في تحديد من هو المجدد في كل قرن، قال ابن كثير: "وقد ادعى كل قوم في امامهم انه المراد بهذا الحديث والظاهر، والله أعلم، أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء من مفسرين، ومحدثين، وفقهاء، ونحاة، ولغويين، الى غير ذلك من الأصناف."2 وأول من حدد في هذا الموضوع الامام أحمد بن حنبل رحمه الله اذ ذكر أن مجددي القرنين الأول والثاني هما عمر بن عبد العزيز والشافعي، وتبعه العلماء في اضفاء صفة المجدد علي من رأوه أهلا لذلك.

ثم رأوا أنه يجب تحديد ضوابط ومقاييس لمعرفة المجدد حتى لا يطلق علي كل أحد القول بأنه مجدد. قالوا يجب أن يكون عالما ذا قدم راسخة في العلوم الاسلامية المختلفة، وأن يكون قادرا علي نقد هذه العلوم وتصحيحها. ثم لا بد أن يكون ضالعا بعمل من الأعمال التي تدخل تحت التجديد، ومن أهم ما في ذلك أن يقوم بتجلية الاسلام مما لصق به من الانحرافات والشوائب الدخيلة علي مفاهيمة الأصيلة، واعادته الي ينابيعه الصافية من الكتاب والسنة، وذلك عن طريق افشاء العلم بالتدريس وتأليف الكتب في المجال الفكري والعملي، ومحاولة اصلاح سلوك الناس وتقويم أخلاقهم، وأن يكون ناصرا للسنة قامعا للبدعة، وأن يعم علمه ونفعه أهل عصره، ويترك بعده من الأصحاب والطلاب من ينشر آراءه ويوسع دائرة الانتفاء بعلمه وأعماله الاصلاحية.

واختلف العلماء في تعدد المجدد فرأى بعضهم أن المجدد لكل قرن يجب أن يكون واحدا لا يتعدد، وذهب آخرون الي أن المجدد في العصر الواحد يمكن أن يكون أكثر من واحد، وهذا الاتجاه هو الذي تبناه الامام شمس الدين الذهبي وابن الأثير الجرزي وابن كثير وغيرهم.3

هذا، ومن العلماء المعاصرين من يرى أن أعباء التجديد يمكن أن تقوم بها تنظيمات أو مؤسسات أو حركات تنظم الجهود وتوحد الصفوف وتوفر الفرص لكل مسلم غيور أن يسهم علي قدر طاقته وفي مجال تخصصه، ويرون أن "من" في الحديث المروي في التجديد قد تفيد الجمع. ومن محاسن هذا الرأي أنه قد يجنب الأمة مسالب العيش علي الأمل دون العمل والانتظار الدام لفرد يظهر ليجدد الدين وليعمل ما عجز عنه الكل.4

وعرف التاريخ حركات الاصلاح والتجديد في نواح مختلة من القارة الافريقية منذ زمن بعيد مثل حركة المرابطين التي قامت ببلاد السودان الغربي في القرن الخامس الهجري وحركة أسكيا الحاج محمد بصونغاي ودعوة الشيخ ناصر الدين بمنطقة فوتاتور في السنغال، وتوجت هذه الحركات بأكبر وأهم حركة تجديدية عرفتها المنطقة وهي حركة الشيخ عثمان بن فودي الذي يعد من أنجح المجددين والمصلحين في التاريخ الاسلامي كله. ومن أكبر منجزات هذه الحركة العظيمة نجاحها في استنساخ نفسها وفي اتساعها وامتدادها مكانا وزمانا. وتعد أعمال التجديد التي قام بها الشيخ أبوبكر محمود جومي استمرارا وامتدادا لحركة التجديد التي قام بها ابن فودي.

نشأة الشيخ أبوبكر محمود جومي وطلبه للعلم

ولد الشيخ أبو بكر محمود جومي في اخر جمعة من رمضان سنة 1344 هجرية الموافق ل1924 ميلادية في قرية صغيرة من قرى زمفرا تسمى جومي.5 كان جده الثاني علي البدوي هو الذي هاجر الي هذه الناحية وكان من العرب البدو الرحل الذين عرفوا بالتنقل لرعي الماشية ونشر الدين الاسلامي. أما والده محمود فولد في بلدة شاغاري حيث استقر جده الثاني محمد مرنا.

كان محمود من العلماء المرموقين في أقاليم زمفرا وكبي وصكتو. رحل في طلب العلم وزار مراكز التعليم في كل من كتثنا وكنو وبوث وبرنو ومكث زمنا. وفي طريق عودته استقر لمدة في بلدة دوثي عاصمة ولاية جغاوا الحالية حيث تزوج وكون أسرة. وبعد التحصيل رجع الي وطنه الاصلي وأخذ ينشر العلم ويربي الطلبة، واستوطن بلدة جومي وتولى القضاء فيها. وهناك ولد الشيخ أبو بكر محمود جومي.

نشأ اليشخ أبو بكر جومي في بيئة علمية حيث فتح عينيه علي العلم منذ نعومة أظفاره. كان بيت والده مدرسة تعج بالطلبة من مختلف المستويات والأعمار، ففيها حلقة لصغار السن من التلاميذ حيث يقرأون القران الكريم ويتعلمون مباديء القراءة والكتابة وأخرى للطلبة المتوسطين الذين يدرسون الكتب الأساسية في الفقه المالكي مثل كتاب الأخضري ورسالة أبي زيد القيرواني وغيرها. وهناك صنف آخرمن الطلبة وهم من كبار السن غالبا وبعضهم يأتون من أماكن بعيدة خارج البلدة، وهؤلاء يتلقون الدروس في فنون مختلفة من الفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف ومن مختلف علوم اللغة العربية.

نشأ الولد النجيب في هذه الأجواء والأوضاع وحذي بعناية خاصة من والده ومن كبار الطلبة في مدرسة أبيه، فأحب العلم وشغف به، وبدرت منه بوادر تبشر بمستقبل عظيم وشأن كبير. كان الولد ذكيا فطنا سريع الفهم قوي الحفظ مع عقل رصين وخلق رفيع وسمعة حسنة عرف بها بين أنداده.

وعندما بلغ التاسعة من عمره قرر والده ارساله الى المدرسة الابتدائية الحكومية، وهذا القرار اما أن يكون باعثه تحرر الوالد وبعد نظره وانفتاحه علي الجديد من الاوضاع الاجتماعية واما أن يكون لكونه من القضاة فالمسئولون الحكوميون في ذلك الزمن يتعين عليهم ارسال أولادهم الي هذه المدارس الممقوتة من جمهور الشعب لعلاقتها المباشرة بالاستعمار الذي ينظر اليه علي أنه نصراني. وبعد سنتين في هذه المدرسة انتقل الي الاعدادية المتوسطة في صكتو ومنها الي "مدرسة القضاة" في نفس المدينة.

وفي أثناء تنقله في المدارس الحكومية كان الفتى اليافع يتتبع المدارس المحلية ويأخذ من علمائها زيادة علي ما كان يدرس من العلوم الاسلامية في المدارس الحكومية. وظهر ميله للعلوم الاسلامية جليا عندما اختير بين الثانوية الحكومية في كدونا وبين "كلية الشريعة" في مدينة كنو فاختار الثانية، كما ظهر ميله للتدين منذ طفولته حيث عين "أمير الصلاة" في المدرسة الابتدائية وهو ما يزال في التاسعة أو العاشرة من عمره. فكان هو المسئول عن ترتيب أمور الصلاة من كنس المسجد وتنظيفه وجلب الماء للوضوء وغير ذلك. وقد عين أيضا اماما للطلبة في الاعدادية المتوسة. 6

علمائه

أخذ الشيخ أبوبكر محمود جومي العلم من مشاهير علماء زمانه. وأول من أخذ عنه والده الذي كان قاضيا ومن كبار العلماء في اقليم زمفر وصكتو. ثم لما سافر ليرتاد المدارس الحكومية كان يبحث عن علماء الدين في كل بلدة أو مدينة سكنها ليأخذ عنهم كما تقدم. وممن أخذ عنهم وتأثر بهم شيخه المعروف الشيخ محمد جنيد الذي أصبح فيما بعد وزيرا لصكتو، وقد قرأ عليه كتاب ملحة الاعراب وألفية بن مالك وغيرها من كتب اللغة والنحو، وكان يدرسهم المواد المقررة في المدرسة الحكومية أيضا.

ومن علمائه الذين تأثر بهم أيضا عالم بلدة يابو ومفتيها والمشهور باسمها شيهو يابو الذي كان تلميذا لوالده. كان شيهو يابو أستاذا في المدرسة الاعدادية وكانت له دروس خاصة في منزله يحضرها الجمع الغفير من الناس، فكان أبوبكر جومي يحضرها ويحرص علي السماع منه ويلازمه، وعليه قرأ الكتب الآتية: الرسالة لأبي زيد القيرواني ومختصر خليل والعسكري والمعلقات الست ومقامات الحريري. كان شيهو يابو معلما ملهما وله أسلوب فريد وجذاب في اعداد الدروس والقائها، وقد انبهر بهذا الأسلوب الشيخ ابوبكر جومي وتبناه فيما بعد في دروسة وفي تصانيفه أيضا كما ذكر ذلك عن نفسه.7

وأثناء دراسته بكلية الشريعة في كنو اتصل بعلماء المدينة وأخذ عنهم ولازمهم وأثنى عليهم. منهم شيخ الطريقة القادرية المشهور الشيخ محمد ناصر كبر والشيخ محمد رابع والد شيخ الطريقة التجانية المعروف الخليفة اسحاق رابع. واستمرت علاقته مع هذين وغيرهما عندما عاد الي كنو كمدرس في كلية الشريعة.

هذا، وقد كان الشيخ أبو بكر واسع الاطلاع علي آثار المتقدمين من العلماء كثير القراءة لكتبهم ومؤلفاتهم. وعكف علي كتب المجدد الشيخ عثمان بن فودي بشكل خاص واستفاد منها كثيرا مما ساعده علي القيام بأعماله التجديدية فيما بعد. ومما ساعده علي توسيع ثقافته العامة لقاءه لرجال

أفذاذ في زمنه مثل السياسي المعروف أمين كنو الذي كان مدرسا معه في مدرسة اعداد المعلمين في مرو. كان أمين كنو سياسيا محنكا ذا ثقافة عصرية واسعة وكان أيضا مطلعا علي كتب علماء الخلافة الصكتية وخصوصا مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي في السياسة الشرعية.8 مكث أمين كنو والشيخ أبو بكر جومي سويا في مرو وكانا جارين في حرم المدرسة فكانا يتبادلان الرأي في الموضوعات العامة، وكان أمين كنو يستفتي صاحبه فيما أشكل عليه من مسائل الدين التي لها صلة بالسياسة وكان أبو بكر جومي يستفيد من صاحبه في الأمور السياسية التي لها صلة بالدين، فكانا بمسابة توأمين قدر لهما أن يؤسسا لنهضة سياسية دينية كان لها أثرها في الحياة العامة للشعب النيجيري.

تلاميذه

لقد أخذ العلم عن الشيخ أبي بكر محمود جومي مباشرة خلق كثير جدا قد يعدون بالآلاف، أما الذين أخذوا عنه بطريقة غير مباشرة في المذياع والتلفاز فهم ملايين لا يحصيهم الا الله. بدأ الشيخ بالتدريس منذ أيامه في المدرسة الابتدائية ببلدة دوغون داجي فكان يدرس زملاءه الطلبة أمور الدين بعد ساعات الدراسة، وهكذا كان يفعل في صكتو عندما كان طالبا في الاعدادية وفي كنو بعد التحاقه بكلية الشريعة. كانت له دروس منتظمة بعد صلاة الظهر وبعد العشاء، وكان يحضر دروسه زملاءه وغيرهم من أبناء البلد. وكذلك عندما زاول مهنة التدريس في كل من مرو وكنو كان يلقي دروسا خاصة في منزله وفي المساجد التي كان يحضرها والمجالس التي كان يرتادها، فكانت حياته بين التعلم والتعليم.

ولعل أشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه ولازموه الشيخ لول أبو بكر، فقد أخذ عنه ولازمه سنين طويلة وخلفه بعد موته علي أكبر مجالسه العلمية وهو مجلسه للتفسير الذي كان يقيمه في جامع السلطان محمد بللو بمدينة كدونا، وكانت بين الشيخ وتلميذه مصاهرات. ومن تلاميذه الشيخ اسماعيل بن زكريا الذي كان يلقبه الشيخ ب "العمري" نسبة الي الصحابي الجليل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد أطلق عليه هذا اللقب لشدته في الله ولما عرف عنه من جهود في نشر السنة وقمع البدعة. ومنهم أيضا أحمد غمبي وهو كاتب مشهور عرف بآراءه المثيرة للجدل مثل قوله في المسيح عيسى عليه السلام ونزولة قبل قيام الساعة. ولو ذهبنا نعدد تلاميذ الشيخ لطال المقال جدا، ويكفي أن نقول انه لا تكاد تنزل بلدا الا وتجد من تلاميذ الشيخ العدد الغفير، وكلهم قاموا بأدوار جليلة في نشر دعوة الشيخ واعزاز جهوده التجديدية. أما عن تلاميذه الذين أخذوا عنه بطريق غير مباشر فحدث ولا حرج.

أخلاقه

عرف الشيخ أبو بكر محمو جومي بحسن السيرة ودماسة الأخلاق فكان مثالا في التواضع والزهد والورع والصبر والشجاعة وجمع الله له خصال الخير. وقد شهد له بهذه الاخلاق خصومة قبل أنصاره. كان شديد الاحترام للكبير والصغير وكل من جمعته معه جامعة، ويجلس مع كل من صادف علي أريكة واحدة وتدخل غرفة الجلوس في منزله فلا تكاد تميزه عن غيره من الحاضرين. أما عن زهده وورعه فكان مضرب المثل، وقد كانت تأتيه الأموال الطائلة وترسل الهدايا والزكوات الي مجلسه فلا يدخل بيته منها شيء بل يقسمه كله للحاضرين. وقد يتقرب اليه بعض السياسيين أو رجال الأعمال بهدية فاخرة

كالسيارة الفارهة مثلا فيرمي بمفاتيحها الي أقرب جالس في المجلس أو الي من يعرف عنه الحاجة والفاقه.
وكان شجاعا صبورا يتحمل أذى خصومه في صمت وشموخ لا يكاد يشتكي من أحد بل يصفه ويسامح. وقد تعرض لمحاولة اغتيال أكثر من مرة ولا يثنيه ذلك عن هدفه وما رسم لحياته من الأهداف السامية. وظهرت شجاعته في أكثر من مناسبة. فمثلا عندما اغتيل الزعيم المسلم أحمد بللو رئيس وزراء شمال نيجيريا في انقلاب عسكري قبلي قاده ضباط من قبيلة ايبو فرّ معظم أعضاء حكومته واختفوا، وكان الشيخ جومي من مستشاريه فخرج في تحدّ سافر للانقلابيين وطالب بجثمان القتيل وأفتى أنه لا يدفن الا في العاصمة كدونا حيث اغتيل، ثم دعى الناس الي الخروج لجنازة الزعيم الراحل، فخرج الناس وقد قويت نفوسهم وشاركت الجماهير في جنازة الزعيم المسلم فكان يوما مشهودا. 9 ومنذ ذلك اليوم أصبح الشيخ جومي نقطة تجمع للمسلمين ومحط أنظارهم وانتهت اليه زعامة الأمة في المرحلة التي تلت الانقلاب العسكري ودخول العسكر في السياسة.

أعماله التجديدية

قد كرّس الشيخ أبو بكر محمود جومي حياته لخدمة دينه وأمته ووطنه، فكان مثالا للمسلم الغيور والمواطن المخلص لوطنه والانسان السوي. وشملت مساهماته مجالات الحيات كلها تقريبا. كان متعدد النشاط قد لا تجد مجالا من مجالات الحياة الا وله أثر ملحوظ فيه. وشغل مناصب مختلفة في الحكومات المحلية والفدرالية. وقد قام بأدوار بناءة في المجال العلمي والتربوي والدعوي وخدم السنة وقمع البدعة ودعى الناس الي التوحيد الخالص وأحيى طريق الوعظ والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصحح العقائد والمفاهيم وترك أمته بحال أحسن من الحال التي وجدها عليه فكان بحق مجدد القرن الذي عاش فيه.

منهجه في الاصلاح

الذي ينظر في كتب الشيخ ودروسه ووعظه يتبين له جليا مسلكه في الاصلاح ومنهجه في التجديد وهدفه من دعوته وهو الرجوع الي الكتاب والسنة الصحيحة في كل ما شجر بين المسلمين من خلاف وفيما تنازعوا فيه من أفهام، وفيما اختلط عليهم من أمر دينهم بما طرأ علي جماعتهم من عادات الأمم الأخرى وتقاليدها وطقوسها واعتقاداتها، والتي جاءتهم نتيجة استعمار بلادهم من قبل أعدائهم وما فرض عليهم هذا الاستعمار من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية، وفي اختلاطهم مع غيرهم في النظام القائم. وهذا كله أورث المسلمين ضعفا واستكانة واصبحوا يتلقون ما لغيرهم عن طريق التأثر والمحاكاة.
والطريق الوحيد في رأي الشيخ الي تغيير هذا الوضع هو اليقظة الثقافية والحضارية واحياء التراث واصلاح التعليم ونبذ التقليد والاعتصام بالكتاب والسنة ومحاولة فهمهما علي ضوء المتجددات العصرية والاستكشافات العلمية والأخذ بأسباب القوة بالاندماج في الحياة العامة مع نظرة ثاقبة وتخطيط دقيق وتكافل بين المسلمين وتكافت في مجالات الحياة المختلفة.

تصحيح العقيدة

نشأ الشيخ في بيئة انتشرت فيها الطرق الصوفية من قادرية وتيجانية وعروسية وغيرها. وهذه الطرق لها تاريخ طويل وانتشار واسع مما جعل الناس ينظرون اليها بعين الاحترام والتقديس علي أنها هي حقيقة الاسلام وهي فوق الاستفسار والمناظرة أو النقاش.
لكن الحقيقة أن هذه الطرق تحتوي علي عقائد وممارسات وطقوس لا أصل لها في الاسلام وربما كانت مناقضة له في بعض الحالات. ويرجع أصل ضلالهم الي أنهم يقسمون العلم الي شرعي ولدني. فالشرعي هو المكتسب عن طريق التعلم والرواية، وأما اللدني فيتلقاه المرء مباشرة عن طريق الالهام، كما قال قائلهم "حدثني قلبي عن ربي" أو يزعمون أنهم يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة يقظة لا مناما، أو أن الملك ينزل به عليهم كما اشتهر عند أتباع الطريقة التجانية أن "صلاة الفاتح لما أغلق" نزل بها الملك من السماء مكتوبة في صحيفة من نور.10

وهذه العقائد – كما يرى الشيخ - تتضمن دعوى نزول الوحي علي المشايخ والأولياء كما تفيد إعتقاد إستمرار النبوة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ أن كل من ينزل عليه الملك بشيء من السماء فهو نبي بلا مراء ولا سيما إذا أمره بتبليغه للناس ودعوتهم إليه كما في شأن "صلاة الفاتح لما أغلق".11
فتح الشيخ عينيه علي هذه العقائد فانبرى ينتقدها ويجادل أصحابها ويرد عليهم. وفي ذلك ألف كتابه المشهور العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة شرح فيه معنى النبي والرسول والفرق بينهما وبين الولي، كما ناقش كثيرا من الروايات الاسرائيلية المبثوثة في بعض كتب التفسير. وقد كان الشيخ عثمان بن فودي انتقد هذه العقائد قبله وحاربها وفنّد مزاعمها في كثير من كتبه ورسائله.

الدعوة الي السنة ومحاربة البدعة

لقد سار الشيخ علي درب المجددين المصلحين فدعى الي احياء السنة وحارب البدعة والمبتدعين وبذل في ذلك من الجهد والوقت ما الله به عليم. وقد كان شعاره في كثير من مجالسه العلمية ما يفتتح به دروسه وهو قوله: "طلب الحديث والعمل به هو الأمن والسلام في حياة الأمة" ثم يتلو الآية الكريمة: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون." (الأنفال: 33).
كان تعلم الحديث والتفقه فيه في زمن الشيخ شبه مهجور، وكانت كتب الحديث لا تقرأ الا للتبرك غالبا. والكتب الستة الصحاح لا يعرفها الا القلة من العلماء، أما العامة فكثير منهم لم يسمعوا بها البتة، فكثر الجهل بالسنة وقلّ العمل بها في العبادات والمعاملات، وهجرها الناس حتى أصبح الآخذ بالسنة كالقابض علي الجمر. وبقدر ما اختفت السنة ظهرت البدعة وانتشرت وعمّ شرها وقامت سوقها فكانت في كل مجالات الحياة، وساعد ذلك ظهور بعض الدجاجلة والمشعوذين وأدعياء العلم والدين فقادوا العامة وألقو بهم الي التهلكة. فحصل ركود عام وعمّ التخلف وفقد الدين جاذبيته فهجر الناس المساجد وظهر الالحاد والاستهزاء بالدين ولا سيما بين الشباب والمثقفين.

فقام الشيخ قومة العلماء الربانيين ودعى الناس الي السنة ونبذ البدعة بالحكمة والموعظة الحسنة، وفتح مجالس دراسة السنة للعامة والخاصة في المساجد وفي منزله، وبدأ بالصحيحين فدرسهما الي آخرهما دراسة هادئة هادفة بيّن فقههما واستنبط أحكامهما واستخرج ما في تراجمهما من أسرار مع الاستفادة بأقوال الشراح واجتهاداتهم وتعليقاتهم. وصبر و صابر علي ذلك أعواما وتحمل في ذلك ما

تقتصر دونه همم الرجال حتى بدأ الناس يتذوقون الدين ويشتهون العلم. وقد ساعد الشيخ علي اجتذاب العامة وبلوغ شريحة واسعة من الناس استفادته من وسائل الاتصال العصرية ولاسيما المذياع الذي كان منتشرا آنذاك.

وتوج الشيخ أبو بكر محمود جومي مساعيه وانتصاراته في مجال نشر السنة ومحاربة البدعة بتأسيس منظمة جماعة ازالة البدعة واقامة السنة فحملت هذه المنظمة دعوة الشيخ ورسالته الي جميع ربوع نيجيريا وبعض البلاد المجاورة. ويلاحظ أن الشيخ أبوبكر جومي قد اقتفى آثار الشيخ عثمان بن فودي وانتفع ببعض تآلييفه في الدعوة الي السنة ومحاربة البدعة حتى ان جماعة ازالة البدعة واقامة السنة قد اقتبس اسمها من كتاب ابن فودي المشهور احياء السنة واخماد البدعة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان أبو بكر محمود جومي جريئا في قول الحق والدعوة اليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع مراعاة الحكمة في الدعوة والرفق مع المدعوّ، وجمع الله له بين الهيبة والخشية وبين الترفع والتواضع كما قال الشاعر في وصفه

فقير غني خائف ومخوف أمير بلا تاج ونار بلا ضرم
غناه تقاه فقره لم يكد يزحـزحه عما نوى من عـزائم

فكان مهاب الجانب مسموع الكلمة يخاطب الرؤساء فينساقون له كما يخاطب السوقة فيستمعون اليه. وله أساليب مختلفة في ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب المخاطب، ويراعي مكانة المخاطب وخلفيته الدينية والاجتماعية ومستواه التعليمي.

كان الشيخ علي علاقة طيبة مع الرؤساء والزعماء وكبار المسئولين، فكان يدخل عليهم ويخاطبهم ويأمرهم وينهاهم ويعرض عليهم المشورة ويبذل لهم النصيحة، وكانوا يعرفون زهده وورعه ولا يتهمونه في شيء فيفتحون له قلوبهم وعقولهم ويكون من ذا خير. وكان لا يفرق بين المسلمين وغير المسلمين من المسئولين والزعماء، فيدخل علي هؤلاء وهؤلاء وينصحهم، وكان لا يأخذ منهم شيئا واذا ألحوا عليه أخذه فوزعه علي المحتاجين، وكانوا يحترمونه غاية الاحترام وربما طلبه بعضهم أو زاره في منزله يستشيره ويستفسره ويتطلع آراءه في المسائل والمعضلات السياسية والاجتماعية.

أما رجال الأعمال وعامة الناس فكانوا يتسابقون الي منزله ويتنافسون في المشاركة والاسهام في أعماله ومشاريعه الخيرية والدعوية ويبذلون كل غال وثمين في تحقيق رغباته وأهدافه التي هي دائما في خدمة الدين والناس والوطن. وكان دأبه معهم التواضع والانبساط ولين الجانب والأدب الجمّ. وكان صبورا في معاملة الناس حليما كثير الاحتمال والمصابرة. وكان الناس في منزله وسائر مجالسه العلمية في غاية السعادة ويتمتعون بالحرية في ابداء آرائهم ومناقشة القضايا المطروحة، وكان كل واحد يشعر بالقرب منه ويظن أنه الأقرب الي نفسه وأحذي بالاهتمام منه. فيتسابقون في الائتمار بأمره وتنفيذ أوامره ووصاياه كما عبّر عن ذلك الشاعر

أمير يكاد الناس يقتتلون في اطاعة أمر منه باليد أو فم

وبهذا فتح الله له القلوب والنفوس فغير كثيرا من العقائد الفاسدة والعوائد السقيمة، وأحيا السنة وأمات البدعة، وحارب الجهل والأمية، وجدد الدين وأيقظ الهمم، وأعاد الي الأمة حيويتها، والي الدين حسنه ورونقه وايجابيته، فكان بحق مجدد القرن الذي عاش فيه.

تصحيح المفاهيم

لقد واجه الشيخ جومي ما لاقاه سلفه الشيخ عثمان بن فودي من مشاكل في تصحيح المفاهيم الاسلامية التي حولها ضعف الأمة الاسلامية وركودها الي ما يجعلها بعيدة عن منطق الاسلام ومطلوب مبادئه في الحياة، وصحة المفاهيم واستقامتها ضرورة لمخاطبة الجماهير وايصال الأفكار اليهم وجعلهم يواكبون الحركة ويفهمون أهدافها ويسعون الي تحقيقها. وفي هذا ألف الشيخ بن فودي كتابه المشهور حصن الأفهام من جيوش الأوهام أوضح فيه كيف قلبت المفاهيم فصار التوكل الي معنى العجز ومعنى الدعوة الي الله الي حب الرياسة ومعنى الاجتهاد الي الغلو ومعنى العفو الي الذل ومعنى شرف النفس الي التيه ومعنى الوجد الي الحقد ومعنى الجود الي السرف ومعنى الهيبة الي الكبر ومعنى التواضع الي المهانة ومعنى الاحتراس الي سوء الظن ومعنى الرقة الي الجزع ومعنى الصبر الي القسوة ومعنى سلامة القلب الي بله القلب ومعنى الشكر الي الفخر 12 الي آخر ما هنالك من المعاني العظيمة التي ساء فهمها فانقلبت الي أضدادها فأورث ذلك خللا في الفكر وسلبية في السلوك وبالتالي ضعفا في البنية الاجتماعية.

ويبدو أن الشيخ قد استفاد من هذا الكتاب حيث تتبع هذه المفاهيم يصححها ويردها الي وضعها الصحيح، ذلك الوضع الذي كان مصدرا للقوة والتمكين لسلف هذه الأمة وعونا لهم في حمل رسالتهم وتبليغ حضارة الاسلام الي جميع أنحاء الأرض.

كما واجه الشيخ أبوبكر جومي نوعا آخر من سوء الفهم جاء نتيجة لكراهية جمهور الناس للاستعمار ومخلفاته الحضارية من نظام التعليم الي نظام الحكم والسياسة والقضاء والمؤسسات المالية والأمنية وغيرها. كان الناس ينظرون الي كل هذه المخلفات الحضارية علي أنها مخلفات استعمارية وهذا الاستعمار بالطبع نصراني (كما كانو يطلقون عليه) فهو كفر وكل ما له صلة به فهو أداة من أدوات التبشير وفخّ نصب للايقاع بالمسلمن. ولما كان التعليم في المدارس الحكومية هو الوسيلة الي الانخراط في هذه المؤسسات قاطعه الناس وتجنبوه وأصبح الناس لا يرسلون أولادهم الي المدارس الا قليلا.

أدرك الشيخ بثاقب فكره أن هذا الموقف من التعليم والانخراط في الحياة العامة يشكل خطرا وجوديا علي الأمة فشمر عن ساعد الجدّ وأخذ يدعو الناس الي الدخول في الحياة العامة والي أخذ مكانهم الآئق بهم في الشئون العامة ولاسيما السياسة والمؤسسات المالية والعسكرية والأمنية. أخذ الشيخ يدفع الشباب الي الحياة العامة دفعا، فيرسل العشرات والمئات الي المدارس والجامعات في الداخل والخارج ويعمل علي ايجاد المنح الدراسية لهم كما شجع الموسرين من الناس علي تأسيس المدارس والكليات

لتوسيع دائرة الفرص التعليمية. واعتنى الشيخ عناية خاصة بتعليم المرأة ودعى الي ايجاد الفرص التعليمية للبنات وحتى للزوجات في بيوتهن.

وبهذه المساعي الطيبة أيقظ الشيخ أبوبكر الأمة من سباتها وحض الناس علي الاشتغال بالصناعة والتجارة، فتحرك الناس ومضوا في طريق العمل وتسابق أسرياء الأمة في ميدان العمل الخيري فتؤسست المدارس وبنيت المساجد وظهرت حلق العلم وتحفيظ القرآن الكريم في المساجد والمدارس وعلي قارعة الطريق، وتسابق الشباب في الانخراط في العمل الدعوي والوعظ والارشاد، وخصوصا شباب جماعة ازالة البدعة واقامة السنة، فكانت مواكب الدعوة الأسبوعية والشهرية والموسمية، وظهرت العناية بدعوة غير المسلمين الي الاسلام فدخل الآلاف ومئات الآلاف من الوثنيين والنصارى في دين الاسلام، واندفعت قوافل التعليم والوعظ الي القرى والأرياف، فكانت في الحقيقة صحوة اسلامية ويقظة حضارية وقفزة في طريق التقدم عمّت شرائح الأمة كلها.

خاتمة: حاجة الناس الي التجديد

ان مسلمي نيجيريا اليوم يعيشون أوضاعا مأساوية، ومنشأ هذه الأوضاع هو أننا نعيش تحت نظام لا يمت الينا ولا نمت اليه بصلة لا من قريب ولا من بعيد. المسلمون في نيجيريا هم الأغلبية ولكن تحكمهم الأقلية، اما أقلية غير مسلمة واما أقلية مسلمة غير مأسلمة. هذه الأقلية التي يسمونها "النخبة" تحكمنا بنظام ليس من ديننا ولا من تاريخنا ولا عاداتنا ولا تقاليدنا. نظام يقوم علي أساس الشرك. نظام يقول ان السلطة بيد الشعب وانما السلطة بيد الله وحده "ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون." (يوسف: 40). هذا النظام هو الديمقراطية الفاسدة المفسدة.

ان بعض الناس يجعل من الدعوة الي التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدعة غايتهم القصوى في الحياة، وهي والله غاية عظيمة تستحق أن يعيش الناس لها ويموتوا من أجلها، فهي دعوة الأنبياء والمرسلين من لدن آدم الي نبينا محمد صلى الله عليهم أجمعين. ولكن التوحيد والسنة وحدهما لا يحققان مقاصد الشريعة. ان التوحيد وحده والسنة وحدها لا ينفّذان شرع الله في الأرض، والله تعالى كما أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فكذلك أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس.

ان التوحيد والسنة يحتاجان الي من يساند هما ويقوم عليهما وهو شرع الله في الأرض. ومن هنا حاجة المسلمين الملحة الي التجديد، تجديد يكفل ببناء مجتمع يحكّم شرع الله في كافة نواحي الحياة. هذا هو التجديد الذي قام به الشيخ عثمان بن فودي من قبل وهو التجديد الذي نادى به الشيخ أبوبكر محمود جومي من بعد، والتجديد الثاني امتداد واستمرار للتجديد الأول. وهو يتحقق باذن الله تعالى بالرجوع الي تاريخنا وتراثنا الضخم الذي تركه لنا علماء الخلافة الصكتية المجيدة.

الهوامش والمراجع

1 رواه أبو داود (4291) والطبراني في الأوسط (6527) والحاكم في المستدرك (8592) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (422) من حديث ابي هريرة. راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف. الرياض، 2002/1426 ص 257.
2 أنظر: https:/Islamonline.net

3 شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية – بيروت، 2014/1432 ج 4 ص 81.

4 يوسف عبد الله القرضاوي، حول قضايا الاسلام والعصر، مكتبة وهبة، 1992/1412، ص 88.

5 أبوبكر محمود جومي،Where I Stand, Spectrum Books, 1992, ص 5.

6 أبوبكر محمود جومي، المصدر السابق، ص 21.

7 نفس المصدر، ص 23.

8 Alan Feinstein, The Life and Times of Nigeria's Aminu Kano, Forth Dimension Press, Enugu – Nigeria, 1987ص.337 .

9 مقابلة شخصية مع الشيخ علي علي أبوبكر امام وخطيب مسجد أبو أيوب الأنصاري، كنو، في منزله بتاريخ 23 أكتوبر 2025 في الساعة التاسعة مساء.

10 علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ج 1 ص 137 – 138.

11 أبو بكر محمودجومي، نفس المصدر، ص 142 – 143.

12 عثمان بن فودي، حصن الأفهام من جيوش الأوهام، حققه وترجمه الي الانجليزية الدكتور عبد الرحمن صديقي، طبعة محلية، ص 55 – 58.

ملحـق

أربعون بيتا في رثاء الشيخ أبي بكر محمود جومي، قاضي قضاة نيجيريا
توفي رحمه الله يوم الجمعة 1992/9/11

أعينيّ جودا بالغزير من الــدم وما لكما لا تبكيان أخا العلــم
أخو العلم محمود ابن بكر معلـم مرب حكيم موقظ كل نائــم
صبور حليم عالم متفنّــن له يده الطولى على كل عالــم
مجدّد دين الله في الأرض بعد مـا عفا أثره الوضّاح في العرب والعجم
أنار سبيل الحق بالحق فاهتــدى به كل من نال السلامة ملهــم
به فتح الرحمن غلفا من القلـوب وصمّا من الآذان سكت من الصمم
وأبصر قوم بعد ما كاد بصرهـم يجيء عليه بالعمى كثرة الإثــم
فأصبح نهج الحق أبيض ناصعـا وولت جيوش الجهل والكبر والضيم
تذكرت يوما قام فيه عــداءه وهموا بأمر لم ينالوه مؤلــم
أحاطوا به كالسور وهو بوسطهـم فألقى عليه الله ستر المسلّــم
فلم يلق سوءا منهم غير أنهــم أصيبوا بشلل للتقهقر ملــزم
أبى الله إلا أن يقيم لدينـــه بناء قوي الأسس غير مهــدم
أقام رجالا جاهدوا بنفوسهــم وأموالهم حقا وفازوا بمغنــم

أزال بفضل الله آثار بدعـــة طغى زبدها زورا على الحق والعلم
فأضحى ذووها حائرين بجهلهـم وراحوا حيارى ظالم إثر ظالـم
وناضل بالقرآن والقلم البـريء وبالأثر الموحى إلى خير آدمـي
ألا يا عباد الله أبكوا معي علـى فقد جبل شامخ ذي مكـــارم
فقير غني خائف ومخـــوف أمير بلا تاج ونار بلا ضـــرم
غناه تقاه، فقره لم يكد يزحـــــزحه عمّا نوى من عزائـــم
تراه نحيل الجسم لكنّ صـــدره حوى قلب أسد لا يقارب بالضيـم
له همة لو رام زهره لنالهـــا وأنزلها من فوق عليائها "جومي"
يصب على الأعداء من نار حجـة لها حرها الفتاك بالقلب لا الجسـم
أمير يكاد الناس يقتتلون فـــي إطاعة أمر منه باليد أو فـــم
تراوده الدنيا ويدفع كيـــدها ويمضي بخير سالما غير آثـــم
ترفع عن دنيا تدنس باثمهـــا رجال فكانوا وهو كالمسك والـدم
أيا لعباد الله هل جاد عصرنـــا بنابغة خير وأفضل من "جومي"؟
خليليّ من لي بالمنية شرهـــا وشر المنايا فوق طوق ابن آدم
ومن ذا يعزّيني عن الشيخ بعد ما سرى حبه مسراه في اللحم والـدم
فيا أسفى . والعين تبيض من أسى . على مثوى شيخ كبير معمّـــم
ويا حرّ قلب استنار بفضلـــه ورقّ بارشاد المواعظ من "جومي"
لقد غربت شمس المعارف بعـده وقام على أنقاضها كالمآتـــم
سقى الله هذا الترب كم ساق ساكنه إلينا أياد كالسحاب الـــرواكم
فيا أيهذا الشيخ فارقت دارنا الـــدنية لكن ما تزال مع القـــوم
نظل مع المذياع نسمع صوتكـا وننظر في "التلفاز" طيفك في "الفلم"
فحلقة درس الشيخ ما زال عهدها جديدا وما زالت رسالتها تسمـي
تفنن في التفسير والفقه والحـديث وفاق على أقرانه في المكـــارم
أب لليتامى ملجأ للأرامـــل مرب لجيل الناس غير مزاحـم

له الفضل في إنشاء جيل مثقـف غيور على الإسلام حامي الحرائـم
أقام لمجد الدين صرحا مـؤزرا وأحيا تراثا كاد يمضي إلى العـدم
سقاه إله العرش كأس نعيمــه وأسكنه الفردوس دار التنعــم